

صورة الفقر والبؤس عند ابن نباتة المصري

مجتبی کریمی^١، محمد خاقانی إصفهانی^٢، مهدي عابدي جزيني^٣

١. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

٢. أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

٣. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٨/٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/٩/١٧)

الملخص

يعدّ ابن نباتة المصري من أشهر شعراء العصر المملوكي ويمكن القول بأنّه شكّا في شعره قضايا مختلفة أكثر من معاصريه. فتناول في شعره موضوعات كالشكوى من الدهر، الموت، الفقر والأمراض الشائعة. لكن المهمّ الذي تركز عليه هذه المقالة هو التفات ابن نباتة إلى الفقر في مضامين مختلفة كالطعام، المسكن والملبس والمركب وقد استفاد من المفردات والتراكيب والأساليب والمعجم الإيقاعي الملائم مع جوّ الشكوى الحزين. ولقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي- التحليلي وذلك بدراسة أشعار ابن نباتة حول الفقر والإعدام. ومن نتائج هذه المقالة المقتضية أنّ الإنعزال، طبيعة ابن نباتة وربّما هو يؤثر العافية وقد يكون همّ المعيشة وتقل العائلة شغل نفسه كلّها ولم يبق فيها قدراً لقضايا عصره ولكن استقرأ شعره سيؤدّي إلى تشكيل صورة عامّة لعصره وإن لم تكن واضحة تماماً.

الكلمات الرئيسية

ابن نباتة، العصر المملوكي، الفقر، وزن الرجز.

مقدمة

تُوحى دراسةُ دواوين الشعراء بأنَّ المجتمعَ في العصر المملوكي لم يألَف توازناً في شيءٍ ما، بل إنَّ التوسُّطَ في الأمور ينعدمُ أو يكادُ، فثمَّ إفراطٌ في الخلاعة والمجون يقابلها الإفراطُ في التصوُّف الذي ينحرفُ بأصحابه عن الدينِ الصَّحيح وكذلك نجد الغنى الفاحش في طبقة من المجتمع والفقر المدقع في طبقاتٍ أخرى. أمَّا الشعراء فلم يكونوا أسعدَ حظاً وكأنَّ العصر الذي كانت المواهب الشعرية تدرُّ على أصحابها رزقاً حسناً قد انتهى، فظفقا يعملون لكسب رزقهم، شأنهم في ذلك شأن عامة النَّاس ومن هنا فإنَّ شعر هذه الحقبة يحتفظ بصور اجتماعية إن لم تصل من حيثُ المستوى الفني إلى ما كان عليه الشُّعْرُ في عصوره الزاهية، فإنَّها تجلو كثيراً مما يدور في المجتمع من أفعالٍ إيجابية أو سلبية.

ونقد المجتمع من أهمِّ ما يعني به المصلحون؛ إذ يقوم إصلاحهم على دعامة منه، ينظرون في شؤونهم ويتبعون ضروب الفساد فيه ثمَّ يحملون عليها حملات شعواء لا تبقى ولا تذر ويبينون للناس ما هم متردِّدون فيه من شقاء؛ ثمَّ يعملون جاهدين على انقاذهم من متردِّاهم وتوجيههم إلى سعادتهم المرجوة. ثمَّ إنَّ الحكام أعاجم بالفطرة لا يفهمون من الشعر إلا إثارة وهم عن مساقط الشعراء مشغولون بحروبهم في الخارج أو فتنهم في الداخل ثمَّ هم بين هذا وتلك ينغمسون في ترف وارف يحجب عن أسماعهم شكوى المحروم ودعاء المظلوم. فإذن الشعراء في حرية وأمن واسع وانطلقوا من كل قيد يخشاه الأديب على نفسه حتى قيود المجاملة والرياء وثارت ثائرة بعضهم حتى خلط في حديثه بين النقد والهجاء. في هذه الحقبة كان الشَّاعرُ أكثر التصاقاً بالشَّعب أو أعرف بأتراحه ومواجهه وأكثر مشاركة في شؤون حياته؛ لذلك اضطرَّ الشَّاعرُ إلى الاحتراف كسباً لقوته فكان زجاجاً أو جزاراً أو حماماً أو وراقاً. فلا غرو بعد ذلك أن تجد جمهرة كبرى منهم تكثُر من تصوير البؤس ومعاناة الحياة. لم يسلم النظام الإداري آنذاك من ثغرات عديدة ينفذ منها الظلم والقهر والسلب إلى طبقات الشَّعب الدنيا لا سيَّما الفلاحون، فكثيراً ما أرهقتهم الضرائب والابتزاز ونهب غلَّاتهم وماشييتهم. لا عجب بعد ذلك أن تكثُر الأوبئة والمجاعات ويلوح وجه الفاقة كئيباً بشعاً في آفاق شتَّى. ومن المصادفات الغريبة أن تعلن الطَّبَّيعة غضبها في هذا العصر فتحدث الزلازل والبراكين التي أفضت النَّاس. صبَّت هذه الرِّوافد كلها في وجدان الشُّعراء وقد عالَج عددٌ منهم هذه القضايا

فرصدوها وتصدّوا لها كلُّ من زاويتهم، طاقتهم ودرجة احساسهم بالمسؤولية. وإنّ القارئ ليملّؤه العجب إذا علم أنّ شعراء هذا العصر هم وحدهم الذين حملوا راية النقد الاجتماعي دون سواهم من القادة وأولي الرأي والبصر. كان من هؤلاء الشعراء ابن نباتة المصري الذي لم يكن يعيش بمعزلٍ عن المجتمع وما يجري فيه من الأحداث والوقائع. تميّزت النصوص الشعرية لابن نباتة في نقده الاجتماعي بميزة وهي عصريتها التي يشعر بها القارئ وأعني بذلك أنّ من يقرأها بمعزل عن معرفة العصر الذي أُبدعت فيه سيعتقد أنّها نصوصٌ قيلت في عصرنا هذا وعالجت مشاكل مجتمعا في الوقت الراهن.

إنّ ما طرحه ابن نباتة في انتقاداته لم يخرج في أكثره عمّا جاء في ديننا الاسلامي، إذ لم يتعارض ما طرحه مع مبادئ هذا الدين، بل على العكس من ذلك، كان معزّزاً له ومؤكداً في الوقت نفسه الالتزام بتلك المبادئ في محاولة للعدول عن الأمور الرديئة من خلال إقناع المتلقين بوساطة الإتيان بالشواهد والأدلة التي تؤكّد صحّة ما يذهب إليه وبذلك حاول ابن نباتة نشر الفضائل والابتعاد عن الرذائل وإن لم يقصد ذلك في بعض ما جاء به في أشعاره. لكنّه لا يعطي صورة كاملة لأحداث عصره وواقعه مثل ابن الوردي والبوصيري ولم يلتفت إلى كلّ ما يجري في مجتمعه كظلم أهل الدولة من الحكام والقادة والوزراء. كانت أهمّ الأحداث في حياته هي: فقره، غربته وفقده أولاده صغاراً حتّى قيل إنّهُ دفن نحو سبعة عشر ولداً كلّهم ماتوا أطفالاً. قد ذاق ابن نباتة في حياته ألم الفقر وعاش متمللاً ضجرًا، يندب حظّه في الحياة ويلعن نصيبه منها فلذا إنّ صورة الفقر أهمّ المضامين الاجتماعية في ديوانه وهويشير إليه مراراً بالتلميح حيناً وبالتصريح حيناً آخر.

خلفية البحث

حسب البحث الدائب والسعي المجهود، لا يوجد دراسات سابقة تخصّ الفقر والبؤس في ديوان ابن نباتة المصري وهو موضوعٌ لم يحظ باهتمام كبير لدى دارسي الأدب المملوكي ولم تتناول دراسة مستقلة وجلّ ما نجده دراسات عامة تناولت الحياة الاجتماعية بصيغ مختلفة. من ذلك: دراسة الدكتور ابوالحسن امين المقدسي، تحت عنوان: "درأمدي بر شعر ابن نباتة". اختصّ وثام محمد سيد أحمد أنس في مقالة "الشكوى في شعر ابن نباتة" صفحات إلى شكوى ابن نباتة طول حياته في مصر والشام" وأشار إلى الفقر والبؤس في صفحات. كما كتب الدكتور حامد صدقي مقالة "الخصائص الفنيّة لابن نباتة الشاكي" وتناول فيها

موضوعات كالموت والشيب والفقر. مع الأسف الشديد لم يشر إلى جميع مضامين ابن نباتة حول الفقر الذي اشتكى منها في حياته مثل المسكن والمركب. لم تقدم هذه المقالات إلا ثمالة لا تروي طالب نشوة، فإذن نريد بهذا التحقيق تسليط الأضواء على فقر ابن نباتة الذي لم يدرس دراسة كافية في الأدب العربي.

أسئلة البحث

١. ما هو موقف ابن نباتة إزاء الفقر الذي كثر عن أنيابه في المجتمع المملوكي وكيف مدى تعامله مع هذا الفقر المدقع؟
٢. كم استفاد ابن نباتة من المعاني المبتكرة الطريفة في تصوير الفقر والإعدام؟
٣. لماذا استفاد ابن نباتة من الفكاهة في تبين الفقر والبؤس؟

المفروضات

- أ) نظراً إلى شكوى ابن نباتة من الفقر والإعدام فإنه لا يرفع صوت الإصلاح الاجتماعي، بل يستجدي ليخلص نفسه وأسرته من الفقر والبؤس.
- ب) بذل ابن نباتة جهوداً عظيمة للوصول إلى الجديد المبتكر في أشعاره حول الفقر ولم يوفق إلا في ابتكاره للمعاني الجزئية.
- ج) كان يعتقد ابن نباتة أن الفكاهة تنسي آلام الإنسان وأتراحه فهي بمثابة متنفس للنفس البشرية تجاه ما يلاقه من ضغوط المجتمع.

نبذة عن حياة الشاعر ومآثره العلمية

هو محمد بن محمد بن نباتة الفارقي الأصل المصري أبو الفضائل، وُلد بزقاق القناديل في شهر ربيع الأول سنة ٦٨٦ هـ (ابن إياس، ١٩٨٣: ٢٢١)؛ لكنّه اشتهر باسم "جمال الدين" كذلك. تنقسم حياته إلى ثلاث مراحل: مرحلتان منها في مصر، وهما: المرحلة الأولى منذ ولادته وإلى باكورة شبابه حتى بلوغه الثلاثين من عمره، ثمّ الثانية رجولته وقضاها بالشّام والثالثة كهولته وهرمه، قضاها بمصر حتى توفّي بها سنة ٧٦٨ هـ. كانت أكثر مراحل حياته نشاطاً وإنتاجاً المرحلة الوسطى بالشّام أقام أكثرها في دمشق وحماة. وقد رحل ابن نباتة إلى بلاد الشّام في نحو عام ٧١٦ هـ وعاش بها رداً طويلاً. نعمّ الشاعرُ بحياته في الشّام ووجد ذاته في العيش بها، فقد كانت بمثابة المرحلة الانتقالية عبر خطوات عمره، ففيها مدح الملوك والوزراء والقادة والأعيان

وفيها نال المكانة الرفيعة من خلال أشعاره ومؤلفاته. وفي نهاية عمره استدعاه الناصر حسن إلى مصر وذلك في سنة ٧٦١ هـ، أمر بأن يصرف إليه ما يتجهز به ويجمع له ما انقطع من معالم إلى تاريخه. فجمع وتجهز إلى مصر فقدمها وهو شيخ كبير عاجز، ثم أعفي عن الحضور وأجرى له السلطان معلوماً ربماً صرف إليه وربما لم يصرف وأقام خاملاً إلى أن مات في صفر سنة ٧٨٦ هـ وله إثنتان وثمانون سنة. (باشا، ١٩٧٢: ٢٣٩) ومن تصانيفه: "القطر النباتي" وقد اقتصر فيه على مقاطيع شعره ومنها "سوق الرقيق" وفيها اقتصر على أغزال قصائده ومنها "مطلع الفوائد" وهو كتاب نفيس في الأدب. وله أيضاً "الفاضل من إنشاء الفاضل"، "زهر النثور" و"شرح رسالة ابن زيدون". لا بد من الإشارة إلى أن معظم آثاره الشعرية قد جمعت في ديوانه واستدرك ابن حجر على هذا الديوان. لم يخرج ابن نباتة في مضمون شعره عما عرف في الشعر العربي القديم، وكانت استجابته لمستجدات العصر المملوكي ضعيفة، فغلبت الموضوعات التقليدية على شعره. (محمد، ١٩٩٩: ٢٤) أشاد العلماء والأدباء قديماً وحديثاً بشاعرية ابن نباتة، فقال عنه السبكي: «حامل لواء الشعر في زمانه، ما رأينا أشعر منه ولا أحسن منه نثراً» (السبكي، ١٩٦٤، ج: ٦: ٣١). وفي العصر الحديث قال عنه شوقي ضيف: «ابن نباتة يمثل بحق ما تمتاز به الروح المصرية من الخفة والرشاقة» (ضيف، ١٩٤٨، ج: ٢: ٧٩٥). وقال محمد زغلول سلام: «يبدو ابن نباتة في هذا العصر ومضة حفظت على الشعر رمقة بين غشاء كثير فقد حافظ على لمسات من الشاعرية وبراعة التعبير، جعلته جديراً بما أتيح له من الشهرة والتقدير» (سلام، ١٩٧١، ج: ٢: ٢٣٣).

الفقر عند ابن نباتة

تُوحى الحقائق التاريخية بأن المجتمع في العصر المملوكي لم يألّف توازناً في شيء ما، بل إن التوسط في الأمور ينعدم أو يكاد فتم إفراط في الخلاعة والمجون يقابلها الإفراط في التصوف الذي ينحرف بأصحابه عن الدين الصحيح، وكذلك نجد الغني الفاحش في طبقة من المجتمع والفقر المدقع في طبقات أخرى. شاع الفقر في العصر المملوكي شيوعاً واسعاً، حيث ترك بصماته على حياة الفرد والمجتمع. كما نعلم إن البيئة أو المجتمع الإنساني هي من أهم الأسباب في تكوين الإنسان وتوجيهه إلى الخير أو الشر، وهي بمثابة أرض تبت فيها البذور البشرية. (منتظري وخاقاني، ٢٠١٦: ١٥) إن ابن نباتة عاش فقيراً واقتحمته موجة البؤس لذا نجده شاكياً من الإملاق طول حياته في مصر أو في الشام. صور ابن نباتة فقره في أشياء عديدة، منها حالة مسكنه، طعامه، ملبسه ومركبه تصويراً جميلاً رائعاً يخلب القلوب.

(أ) الطَّعام

يصيحُ ابن نباتة شاكياً الزَّمان وكثرة العيال والظَّنك الذي هو فيه حيثُ يبدأ بنشأته الأدبية وكان مغموراً لا ينالُ مقابلًا لبوادره الشعريّة، ومن هنا تبدأ المعاناة. (أنس، ٢٠٠٩: ١١)

ولقد وُلد له نحو ستة عشر وليداً والأبناء عزّة وقوّة وزينة إلا مع الفافة والبؤس، فإنهم ذلّة ومجبنة ومذمة.. هكذا جرى العرف بين الناس ويقول ابن نباتة:

لقد أصبحتُ ذا عميرٍ عجيبٍ أقضّي فيه بالانكادِ وقتي
مِنَ الأولادِ خمسٌ حولَ أمِّ فوحرِباهُ مِنَ خمسٍ وسِتِّ

(ابن نباتة، دون تا: ٨٠)

فالفقرُ والعوزُ جعلاً من حياة ابن نباتة حياةً نكدٍ وهمٍ؛ لأنّ له من الأبناء خمساً وزوجاً هي مدعاةٌ لسوء الحال والتّورية في لفظ "ست" فهي إمّا للعدد وإمّا للزوجة وتعني في العاميّة، المرأة المصرية. من الطبيعي جداً في هذه المرحلة، أن يكرّر الشاعر تلك الصيحات؛ كي يطلق لنفسه العنان ويعبرَ عما يشعر به من عوز وحرمان. خاصّة وأن أباه قد ترك أرض مصر من قبله مهاجراً إلى بلاد الشام. لذلك يرجّح أحد الباحثين أن لابن نباتة اتّجهاً سياسياً معيّناً مثل أبيه، ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلت سلاطين المماليك غاضبين على هذه الأسرة النّبّاتية في بعض الأحيان وإلّا فبم نعلل إعراض أكبر شعراء العصر وأدبائه عن مدح الناصر محمد وهو الذي شملت مدّة حكمه ثلاث مراحل تقريباً من حياته؛ لعلّ السخط الذي لحق أباه أيضاً وقد كان شاهداً في ديوان الجاشنكير بيبرس ويكفي هذا أن يكون سبباً كافياً لسخط السلطان عليه أيضاً. (باشا، ١٩٨٢: ١٣٧)

لذلك كلّه اضطرّ الشّاعر لأن يهاجر إلى الشّام، علّه يجد رواجاً لشعره ويحقّق صيتاً ذائعاً لمنزلته الأدبية هناك. وبالفعل تبتسم له الحياة حيثُ ينزل في بلاط الملك المؤيد وقد كان هذا الملك مع غريز علمه يميل إلى الشّعْر ميلاً زائداً ويجيز عليه بالجوائز السنيّة وكان الأديب جمال الدين محمد بن نباتة مقيماً عنده بحماة وله عليه رواتب تكفيه ولذلك رأينا الشّاعر يحدثنا عن مدى كفايته في ظلّ جود هذا الملك وأنّه ما عاد يخشى كثرة العيال، لما أفاء الله عليه من سعة في الرزق وراحة في البال:

تكلّفت كلَّ عامٍ سحبُ راحتِهِ عن البريّة إشباعي وإروائي
فما أبالي إذا استكثرْتُ عائلةً فقد كفى همَّ إصباحي وإمسائي

(ابن نباتة، دون تا: ٦)

وجدنا أكثر المصادر الأدبية التي أرخت لأدب هذا العصر، تردد عبارة واحدة وهي: «إنَّ الشَّاعِرَ كَانَ مُتَقَلِّلاً لَا يَزَالُ يَشْكُو حَالَهُ وَقَلَّةَ مَا بِيَدِهِ وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ» (العسقلاني، ١٣٥٠، ج: ٤، ٢١٧). والذي أفهمه من كلمة "متقللاً" أنَّ الشَّاعِرَ كَانَ فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ وَوَفْرَةٍ مِنَ الْمَالِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرَى كُلَّ ذَلِكَ قَلِيلاً وَالْعَجِيبُ أَنَّنَا وَجَدْنَا صَدَىً لِهَذِهِ النِّغْمَةِ فِي شِعْرِهِ، فَلَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى كَلَامِ الْمُؤرِّخِينَ، الَّذِينَ رَبَّمَا بِالغَوَا أحياناً، فمثلاً نراه يقولُ في سياق مدحه لمحي الدين فضل الله:

فَقَالَتْ دَعِ التَّقْلِيلَ عَنْكَ وَقِمِ إِلَى نَوَافِجِ فَضْلِ اللَّهِ فِي زَمَنِ الْفَرَحِ
(ابن نباتة، دون تا: ٢١)

نجدُ قصيدة لابن نباتة بيدها بمقدمة غزلية بناها الشَّاعِرُ عَلَى شَكْلِ الْقَصِيدَةِ الْقَدِيمَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ بِالْحَدِيثِ إِلَى الْمَدْحِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى وَصْفِ مَا أَصَابَهُ وَجَارِيَتِهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْعُوزِ، فَجَاءَتْ الْمَقْدَمَةُ مُتَكَلِّفَةً وَلَا تَتَنَاسَبُ مَعَ غَرَضِ الْقَصِيدَةِ، لِأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ شَرْحُ حَالِ لَدُنْكَ الْمَدْحِ حَتَّى يَنَالِ مِنْهُ الْعَطَايَا وَكَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ يَبْدَأَ بِوَصْفِ حَالِهِ؛ فَالغَزْلُ يُتَطَلَّبُ بِالرَّفَاهِيَةِ فِي الْإِحْسَاسِ وَمَتَى كَانَ الْإِنْسَانُ خَالِي الذَّهْنِ مِنْ شِدَائِدِ الْحَيَاةِ التَّفَتَّ إِلَى أَحْسَاسِهِ وَمَشَاعِرِهِ وَتَغَزَّلَ:

أَنَا وَالْجَارِيَةُ الْعَجْفَاءُ فِي حَالِ جُوعٍ مُخْرَسٍ لِلْأَلْسِنِ
قَدْ عَرَانَا مِنْ طَوَانَا زَمْنٌ مَا عَهَدْنَا مِثْلَهُ فِي زَمَنِ
وَلَقَدْ تَشَكُّو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشَكُّو فَمَا تَفْهَمُونِي

(ابن نباتة، دون تا: ٤٩١)

في موضعٍ آخر يشكو السَّقامَ وامرأته تشكو من السَّقمِ وَيُشَبِّهُهُمَا فِي فَرْشِهِمَا بِرُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جِهَةِ الْهَزَالَةِ وَالنَّحُولَةِ. كَانَ أُخْرَى أَنْ يَصَوِّرَ صُورَةَ أُخْرَى لَوْ كَانَ صَادِقَ الْإِحْسَاسِ لِأَنَّ صُورَةَ الشَّطْرَنْجِ جُودُ الْمَنَازِلَةِ وَالتَّحَدِّيِّ وَإِنْ كَانَا وَهْمِيَّتَيْنِ. يَكَابِدُ ابْنُ نَبَاتَةَ مِنْ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا مَرَّ، أَمْرَ الْغَرَبَةِ وَأَمْرَ بَنِيهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ بِالشَّامِ يَتَضَوَّرُونَ جُوعاً:

إِنْ مِتُّ مِنْ حُزْنٍ فَإِنَّ بَنِيَّ قَدْ مَاتُوا بِشَامِهِمْ مِنْ الْإِعْدَامِ
(ابن نباتة، دون تا: ٤٦٢)

لم يفلح الشَّاعِرُ فِي تَصْوِيرِ الْمَوْقِفِ وَفِي تَحْرِيرِ الْمَعَانَاةِ الَّتِي يَقَاسِي مِنْهَا غَرِيبٌ خَلَّفَ بَنِيهِ وَضَرَبَ فِي الْأَرْضِ سَعِيّاً لِلرِّزْقِ. إِنَّ النِّزْعَةَ الَّتِي تَسَيِّرُ عَلَى الشَّاعِرِ فِي هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الشَّعْرِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يَصِفُ فِيهِ الشَّعْرَاءُ بِوَسْهَمٍ هِيَ سَهُولَةُ الْعِبَارَةِ وَقَرْبُ الصُّورَةِ وَعَدَمُ التَّعَقُّفِ مِنْ اقْتِبَاسِ بَعْضِ التَّرَاكِيِبِ وَالْأَلْفَاظِ الْعَامِيَّةِ الدَّارِجَةِ قَصْداً إِلَى تَرْوِيجِ الشَّعْرِ بَيْنَ طَبَقَاتِ

القرءاء. في العصر المملوكي فقد حرم الشعراء الطعام أو الأصناف الغالية منه ولم يتحرّجوا من ذكره ساخرين حيناً وجادّين حيناً آخر. ولم يتورّع ابن نباتة عن طلب الطعام وإن أخرجه مخرجاً ساخراً بتقطيع أبيات مشهورة من التّراث فقال لممدوحه:

يا سيّد الوزراء العادلين لقد	صيّرتُ في منزلي للجُوع إحسانا
لكن بني وإن كانوا ذوي عُذر	ليسوا في الصبرِ من شيءٍ وأن هانا
لكن ربّك لم يخلق لمسبغة	سواهم من جميع النّاس إنسانا
قد طيّروني وإن أخّرت مطلبهم	طاروا إليك زرافاتٍ ووحدانا

(ابن نباتة، دون تا: ٥٢٧)

لم يجد ابن نباتة حرجاً في رسم هذه الصّورة القاسية للجوع الذي تعاني منه أسرته بل استخدم ذلك للتأثير في الممدوح، لعلّه يرق على أولاد جائعين فيأمر لأبيهم بصلة. اتّبع ابن نباتة هذه الطّريقة في الطلب فأجرى حواراً مع أطفاله الجائعين نصحوه فيه أن يلجأ إلى الإمام محمّد؛ لأنّه يعطي قاصده:

يقولُ بني الجائونَ أما ترى	من الجُوع شَكونا لكلِّ فريقٍ
وقد كنتُ ذا نظمٍ وسعي يبرنا	فلم جئتُ من هذا وذا بدقيقٍ
عليك بأبوابِ الذمامِ محمّد	تجد فرجاً منها لكلِّ مضيقٍ
وما هي إلا بيتُ مالٍ لطالبٍ	ونصرة آمالٍ ونجح طَريقٍ

(ابن نباتة، دون تا: ٣٥١)

لم يكتف ابن نباتة بإظهار جوع عياله وطلب الطعام لهم، بل إنّه عرض بممدوحيه الذين توقّفوا عن عطائه على شعره وخيّبوا سعيه على أولاده وفي مقطوعة أخرى يستجير ابن نباتة من أولاده الجياع الذين يلحّون عليه بطلب اللحم في العيد ويخشى أن يأتي العيد ولا يجد عنده لحماً يطعم أولاده:

سَيدي دعوة شاك	من عيالٍ جورٍ حكمٍ
يطلبون اللحمَ في العيدِ	سدٍ وما يدرون همّي
وأخافُ العيدَ يأتي	وأنا قطعاً لحمٍ

(ابن نباتة، دون تا: ٥٧٥)

فطلب الطعام لم يعد محرّجاً للشاعر وربّما اضطرّ إلى ذلك أو جعل طلب الطعام أحد أساليب التأثير في الممدوح وقد شاعت هذه الطّريقة عند شعراء العصر المملوكي ولم يكن

ابن نباتة منفرداً في إظهار جوع عياله وطلب الطعام ولكن وقائع حياته لا تعطي سبباً أو
إيضاحاً مثل هذا التذلل ولا تذكر المصادر أنه وصل إلى هذه المرتبة من الفقر والفاقة
والمسغبة. وعد أحدهم ابن نباتة بالعسل، ثم أرسل إليه الجبن فقال فيه:

يا باعث الجبن قد ساءت مطاعمه
وتخلف الوعد في الشهد الذي يصل
بخلت بالشهد لا بالجبن تبعثه
لبئست الخلتان الجبن والبخل

(ابن نباتة، دون تا: ٤٢٤)

تبرّم ابن نباتة مثل شعراء عصره من طعام الفقراء الذي عافته نفوسهم وتطلعوا إلى
طعام الأغنياء وخاصة الحلوى. لذلك شعر ابن نباتة بالضيق حين أرسل له صاحبه جبناً وكان
يأمل أن يرسل له عسلاً فهجاه وما كان يستحق الهجاء؛ فإذا كان قد وعده بالعسل ولم يستطع
الوفاء بوعده، فهذا لا يستدعي أن يهجي على عطائه ويتهم بالبخل والجبن، البخل بالعسل
والجبن عن إرساله. فالهجاء كله قائم على الطعام والتورية بكلمة "جبن" واضحة فهي تعني
الطعام المعروف وتعني الخوف والإحجام. ومثلما هجا ابن نباتة بالطعام فإنه مدح به وافتخر.
ومن ذلك قوله حين أرسل إلى صديق له نوعاً من حلوى الكنافة يسمي "مخنقة" مع أبيات:

يا سيدي جاءتك في صدرها
كنافة بالحلوى موعودة
قد خنقتني عبرتي كاسمها
ما خرج الفستق من قشره
فهاك حلواً قد تكلفته
كأنها روعي في صدري
كما تقول العسل المصري
وبادرت من خلفها تجري
فيها وقد أخرجت من قشري
ولا تسأل عني وعن صبري

(ابن نباتة، دون تا: ٢٢٥)

الطرافة في هذه الأبيات أن ابن نباتة أهدى صاحبه صدر كنافة وأظهر حزنه على
مفارقة فوضعا في صدرها وشبهها بروحه في صدره، مفارقتها تماثل مفارقة روحه
لجسده، بل بكى لفراقها وذهب صبره مع ذهابها وإذا ابتعدنا عن مشاعره التي أفسدت
الهدية والتي أراد منها إظهار مدى حبه لصديقه وإيثاره على نفسه بشيء يحبه كثيراً، فإن
ابن نباتة قدّم وصفاً جميلاً لهذه الكنافة التي ملكت عليه حياته. والأطرف من ذلك أن
يتذكر ابن نباتة ابنته الغائبة عنه حين أهدى صحن كنافة، فقال:

ذكرتك والأسماء تذكر بالكنى
فلك يا أسماء الكنافة والذكر
يذكر صحن الوجه صحن كنافة
هما الحلومما تشهد العين والفكر

ليالي فطر الصَّوم إذ كلَّ ليلة
ولم أنسَ ليلاتِ الكنافةِ قطرُها
يُحسانِ نورِ الدِّينِ عيدُ هُوَ الفطرُ
هوَ الحلوُ إلَّا أَنَّهُ السَّحْبُ الغرزُ
يُجوِّدُ على ضَعْفِي فأهتزُّ فرحةً
كما انتفضَ العصفورُ بللَّهُ القطرُ

(ابن نباتة، دون تا: ٢٣٠)

يبدو أن ابنته تدعي "أسماء" ذكرته به الكنى من اسم الكنافة وحين شاهد صحن الكنافة تذكر وجه ابنته والجامع بينهما حبه الشديد لكليهما. لم نجد في السابق من يظهر فرحه الغامر بالطعام أو من يقرن الطعام بأبنائه ويساويه بهم لكنّه الجوع أو ادعاءه الذي دفع شعراء العصر المملوكي إلى ذكر الأطعمة ووصفها وتشبيهها ليشيروا إلى حالهم ويستعطفوا ممدوحيه. قد أغرم شعراء العصر المملوكي بوصف الأطعمة وتشبيهها والتغني بها حتى أضحت من أغراض شعرهم ومن ذلك قول ابن نباتة يطلب الكنافة من أحد ممدوحيه:

عهدت فوادي ملآن من
إلى أن تعشقت حلو الكنافا
شجون ولا موضع لازدياد
ت للحلو زاوية في فوادي

(ابن نباتة، دون تا: ١٥٨)

هل وصل حبّ الحلوى إلى العشق وهل الحلوى تنسي الهموم؟ ربّما الحرمان منها مع رؤيتها يوصل المرء إلى ذلك أو ربما هو تفتيق للمعاني عند الشعراء الذين يبحثون عن الجديد ويحاولون تسجيل سبق إلى معنى جديد مهما كان هذا المعنى بسيطاً وهذا ما يؤكد وصف ابن نباتة "للقطائف" في قوله:

وقطائف رقت جسوماً مثل ما
تخلو فما تغلو، ويشهد قطرُها الـ
غلظت قلوباً فهي لي أحساب
فياض أن ندى على سحاب

(ابن نباتة، دون تا: ٥١)

"القطائف" نوع من الحلوى المحشّية التي يستحسن فيها رقّة قشرها وتوفر حشوها وزيادة قطرها. أفاد ابن نباتة من وصفها؛ فبنى منه معنى رقّة الإحساس مع غلظة القلب التي يتّصف بها قومه ومعنى كرم الممدوح الذي يشبه قطر القطائف الفياض. فقد مدح في وصف القطائف وعرض. فابن نباتة جعل ذكر الطعام دلالة على حاله وضمّنه الهجاء والمدح والوصف وكأنه رآه تجديداً في معاني الشعر أو أنه أراد اشباع نفسه واشباع الجائعين أمثاله بهذا الحديث والتعويض فنياً عما يفتقرون إليه في الواقع. إن الفقر قد أمت ذهن ابن نباتة المصري ويسترحم الآخرين للنّجاة من هذه الحالة السيئة:

يا صاحب السر وفي ذكره
عظفاً على مَيِّتٍ مِنَ الْفَقْرِ قَدْ
لمسك سرٌّ غير مكتوم
أصبحَ في حالةٍ مرحوم
منطبخُ الأحشاءِ بهم لا
يُزالُ في حَالةٍ مغموم

(ابن نباتة، دون تا: ٤٥٧)

لو أُصيب الجنديُّ في سلاحه لعظمت مصيبتُهُ ولو أُصيبَ الفلاحُ في فأسه لعظمت مصيبتُهُ، فما بالك بمن سلاحه ذهنه ورزى فيه؟ ذلك الذي أصاب ابن نباتة أمرٌ جليلٌ فهو كالميت من شدة الفاقة التي تعطلُّ أعمال فكره وكالمعاني في جسده المصاب بالحمى، فالحمى ترهقُ الجسدَ وتصيبه بالانتفاض فكذلك ذهنه من شدة الفاقة والعوز والفقر يذهب عنه صفاء الفكر ونشاط الوجدان فما الذي يبقى له؟ إنَّ المنطقة الفاصلة بين حياة الشاعر وشعرية الحياة قد تلاشت في عرف الشاعر وذلك نتيجة تلك الحالة التي يعيشها الشاعر من "صدق فني"، أسهم في خلق حالة التوتر، تعكسها الصيغ والدلالات في الأبيات. فالبدء بالمصدر المحذوف فعله "عظفاً"، قد عكست حالة الشاعر المزرية التي أصبحت تتلاقى مع حالة المعدمين، الذين يستدرِّون الشفقة من الجميع وأكدت على فداحة الأمر الذي وصلت إليه ذات الشاعر وهي حالة تستلزم الإنجاز والتنفيذ السريع.

(ب) المسكن

يشكو ابن نباتة من عدم توافر أجره المسكن وهو كما نعلم يعدُّ المسكن من أهمِّ ضروريات الحياة، التي من خلالها يمارس الإنسان حياته الطبيعية ويستطيع تحقيق الغاية المنشودة من خلقه وهي عبادة الله سبحانه وتعالى. لذا فالأمر لا يحتمل التأخير أو التأجيل وتحقيقاً لذلك وجدنا الشاعر يركّز على الإيقاعات السريعة المتلاحقة التي يحققها "مجزوء الرجز"، ممَّا يعكس نبضات الشاعر المضطربة ورغبته اللاهثة وراء تحقيق الغرض من الشكوى:

يا صاحبي أصبحتُ حتّى
من أجره المسكن في
إعى في الخطاء معّرا
إعراب همُّ أشهرا
فلا كرى ولا كرا
بالنصف والكسر معاً

(ابن نباتة، دون تا: ٢٤١)

استفاد ابن نباتة من قافية الرأ وكما نعلم أن الرأ صوت جهوري لثوي متكرر، ويعد من أوضح الأصوات الساكنة في السمع وهو عند القدامى صوت زلقي شبيه بأصوات اللين. على

كلّ حال، فهو من الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرّخاوة، كما أنّه صوت مكرّر؛ لأنّ طرف اللسان حين ينطق به يحدث طرفاً لينا مرتين أو ثلاثاً وكأنّ الشّاعر اهتدى إلى هذا الحرف بإمكانياته الصّوتية؛ ليجهز بحزنه وليركز على مأساته ليعطي رعشة مكرّرة لقارئه. وصف ابن نباتة وتهنّئته منزلاً لصديقه يبيّن أنّه كان في حسرة منزل مناسب للعيش:

هنأت منزل الذي قد زخرفت جنباته وعلا به استعلاء
أحسن بها فوارة وجوانباً سال النّضار بها وقام الماء
(ابن نباتة، دون تا: ١٩)

طرافة الوصف تقوم على التناقض بين سيلان الفضة وانتصاب الماء، فالفوّارة ترفع الماء وتنصبه ثمّ يسيل على جنباتها وهو ما أراد ابن نباتة في صورته المكثفة ووصفه الموجز الذي يترك انطباعاً بالغرابة. (محمد، ١٩٩٩: ٦٥)

(ج) الملبس

كان ذكر اللباس قليلاً في الشّعر العربي جاء كنايةً عن مكانة الرّجل وأخلاقه فوصفوا الممدوح بطهارة الثّياب ووصموا المهجّو بدنس الثّياب. أمّا في العصر المملوكي فقد أصبح للدلالة على الحال وللسخريّة. ذكر ابن نباتة ملابسه ووصفها وأوضح أنّها لا تليق بمكانته وألحّ في طلب الكساء من ممدوحه واتخذ الملابس مادّةً للسخريّة وللدلالة على فقره ولاستعطاف الممدوح. ومن ذلك وصف ابن نباتة لغطاء رأسه بقوله:

يا عجباً من طوقٍ طاقيتي عن لبسٍ يومٍ واحدٍ قد غلب
وشاشٍ رأسي انقلبت حاله عندي وقالوا الشّاش لا يتقلب
(ابن نباتة، دون تا: ٥٩)

لا يريد ابن نباتة أن يعجب ممدوحه من تديير بعض الجبة لكنه يصفها له ليعطيه غيرها ولا يريد أن يمتعه بأوصاف لباسه البالي، وإنّما يريد أن يستثير عطفه وشفقته ويهزّ أريحيته ليعطيه جائزه مدحه، وهو ما رمى إليه حين أظهر لممدوحه ضيقه بملابسه ساخرأً من نفسه في قوله:

وحقّك لولا دلقي الصّوف مكرماً وشاشي لما اخترت التحرك من هنا
ولكنني قاسيت بينهما أذى تنوع في مكروهه وتفننا
وكنت عصفوراً بشاشي مالحاً فأصبحت عصفوراً بدلقي مطجنا
(ابن نباتة، دون تا: ٥٢٩)

هذه الأبيات تشير إلى ضيقه بلباسه وأنه لولاه ما غادر مكانه وما سعى للخلاص منه استبداله، فقد كان في شاشه الذي يلفه على رأسه مثل العصفور المملح تجفيفاً أو تجهيزاً للطبخ وهذا يعني أن شاشه مهترئ ولم يبق منه إلا آثار قليلة مثل الملح المرشوش على رأس العصفور المنتوف ولكنه عندما ارتدى رداءه الصوي في أضحى مثل العصفور المطبوخ. وقد يلجأ الشاعر إلى أسلوب التهكم بنفسه؛ ليلفت الأنظار إليه أكثر، وينصت إلى شكواه:

أشكو إلى الله ما أقاسي من شدة الفقر والهوان
أصبحت من ذلّة وعري ما في دافٍ سوى لساني

(ابن نباتة، دون تا: ٥٣٣)

يشكو الشاعر من عدم توافر ثياب لديه تستر جسده وتدفعه، لكنه لم يلجأ إلى إشباع فضولنا بمعرفة أسباب شكواه ودواعي تضرره عن طريق التكملة المألوفة لدى ذهن المتلقي، إنما ارتكز الأسلوب الفكاهي على "المفاجأة" و"اللتوقع"، فبينما يتوقع القارئ أن العضو الدافئ في جسده جزء من الأجزاء الظاهرة، مثل اليدين أو الرجلين أو الرأس إذا بالشاعر يأتي بعضو ليس ظاهراً ولم يطرأ على الأذهان ضرورة تدفئته. فوصف الملابس لم يكن مقصوداً لذاته عند ابن نباتة وشعراء عصره، بل أراد منه تعريف الناس بحالته البائسة وانتقاد من أوصله إلى هذا الحال.

وصل الحال بالشاعر أن يستجدي قيراطاً واحداً بعد أن كان الشعراء من أغنى الناس، فإن الحاجة دعتهم إلى طلب القيراط والملاحظ أن مستوى الشعر جاء على قدر القيراط. تظهر التورية في البيت الأخير في لفظ "الخياط" والمقصود بها الشاعر الخياط الذي يسمّى بهذا الاسم:

شكراً لها فرجية قد بيضت عيشي وعين الحاسد المتواطى
جاءت ولم أسأل ولكن جاءني خياطها وعجزت عن قيراط
وأريد جوداً ثانياً ولطالما قد جدت لي قديماً وللخياط

(ابن نباتة، دون تا: ٤٥٧)

ويقول في موضع آخر:

وإن يكن قد بكى جفن السحاب فقد بكى من البرد لي أنف وأجفان
فهل ببعض الفراجي اليوم تفتق لي عتيقة لي بها في العمر أزمان

أميلُ خوفَ ازدحامِ النَّاسِ تحطُّمُها
كأنني مثلُ بعضِ النَّاسِ سَكَرَانُ
لازلتُ يا كعبةَ المعروفِ تنحني
مِن كسوةٍ لي بها في المدحِ أركانُ
(ابن نباتة، دون تا: ٥٢٧)

ويصلُ به الحالُ مرةً أخرى إلى طلبِ فرجيةٍ يتدفَّقُ بها في أيامِ الشَّتاءِ وأن تلجئَ الحاجةُ شاعراً فتأنأُ أن يسألَ كسوةً؛ فإنَّ الامتحانَ قد بلغَ به أيُّ مبلغٍ. الشَّاعرُ جعلَ جفنَ السَّماءِ يبكي لتحصُلَ المشاكلةُ بينها وبينه، فهو إذا اشتدَّ الزمهيرُ واقشعرَ بدُّه من البردِ وقلةِ الكساءِ، تهادتِ الدموعُ من عينيه وسالَ أنفه. لم تعد فرجيته من بلاها تمنعُ عنه برداً ولا حرّاً وإذا مشى بها بين النَّاسِ فهو يميلُ يمنة ويسرة كأنَّه سكرانٌ يترنَّحُ. كأنَّما الشُّكوى من بلى الجببِ والفرجياتِ بلاءٌ عمُّ شعراءِ العصر، فكُلُّهم فقيرٌ معدومٌ أو وباءِ عداهم جميعاً فإذا شكَا واحدٌ يشكو الآخرين من غير حاجةٍ. فهذا ابنُ دانيالٍ يتهمُ بجبته ويسخرُ من بلاها وراثتها بل تمتدَّ سخريته إلى هيئته وإلى قبجِ جاريته:

لي جبّةٌ فنيّت ممّا أنشيتها
ورثتُ شاشي حتّى ظنُّ مبصّره
وما أخطيها إلا بأشراس
أنَّ العناكبَ قد سدّت على رأسي
(الصفدي، ١٩٧٩: ٧٢)

هنا يصلُ الفقرُ غايته، عندما يشحذُ الشَّاعرُ القيروطَ والفرجيةَ ويجعله ذا جبّةٍ رتّةٍ قبيحِ المنظر. أدّى وصفُ الشُّعراءِ لسوءِ أحوالهم إلى عدم الاهتمامِ بجزالةِ الألفاظِ كما كان الحالُ عندَ أسلافهم أو كما هي حالهم عندما يتجهون بشعرهم إلى موضوعاتٍ أخرى، فلم يعد الشَّاعرُ يهبُ الصُّورَ القويةَ واللَّفظةَ الجزلَ كثيرَ عناء، فسوءُ حاله أدّى إلى سوءِ شعره فنجدهم أحياناً يدخلون العامية في شعرهم حيثُ وجدوا فيها مدداً فياضاً للتعبير عن شكواهم ولأنَّهم يناجون العامّة من النَّاسِ. تتضحُ في الأبياتِ تلك الفكاهةُ المبطنةُ بالسخرية وبمرارةِ الحاجة التي أدّى بها الشُّعراءُ إلى الشُّكوى من سوءِ الحالِ والفقرِ.

د) المراكب

من الأوصافِ التي ذكرها ابنُ نباتةٍ للدلالة على فقره وسوءِ حاله وصفهُ لمراكبه من الحميرِ والبغالِ وصفاً ساخراً فهي هزيلةٌ ضعيفةٌ تماثلُ صاحبها الذي لا يجدُ ما يطعمها به ولا يستطيعُ الحصولَ على المراكبِ الجيدةِ لفقره، بل إنَّه لا يستطيعُ اقتناءها أو اكتراثها. وقد شاعت مثلُ هذه الأوصافِ في العصرِ المملوكي واستخدمها الشعراءُ للسخريةِ والهجاءِ

وأظهروا تعاطفاً معها وأنطقوها بما يريدون وبما لا يستطيعون التصريح به. قارن ابن نباتة بينه وبين كتاب الديوان الذين يعمل معهم فقال:

يا خيلَ كتابٍ مضوا لبيوتهم بأبي الشُّموسِ الجَّانحاتِ غواربا
كم من حمارٍ قد تعبتُ بسوقه من خلفهم فغدوتُ أمشي راكباً

(ابن نباتة، دون تا: ٥٧)

المقارنة بين خيل كتاب الديوان وحماره غايتها شرح حاله للممدوحة، هم يركبون خيلاً سريعة وهو يتبعهم بحمارٍ ضعيفٍ يتعب في سوقه ويظل يحرك رجله ليحثه على المسير فصار يمشي وهو راكبه وهي صورة طريفة تظهر مهارة ابن نباتة وتدفع السامع إلى الابتسام. وقد ازدادت حال الشاعر سوء بعمله في ديوان الإنشاء عبر عنه بقوله:

يا سائلي في وظيفتي عن ضيعة حالي وعن معاشي
ما حال من لا يزال يطوي مسافة القصر وهو ماشي

(ابن نباتة، دون تا: ٢٧٦)

فافتقاره إلى دابة يركبها للذهاب إلى عمله والعودة إلى بيته دلالة واضحة على خيبته في وظيفته التي لم تمكنه من شراء دابة يتنقل عليها. وإذا افتنى دابة تكون ضعيفة لا تفي بحاجته وتكون مثل بعلته التي قال فيها:

أصبحتُ يا سيدي ويا سندي أقص في أمر بغلتي القصصا
بالأمس كانت لفرطِ سرعتِها طيراً وفي اليوم أصبحت قفصا

(ابن نباتة، دون تا: ٢٧٧)

فما هذه البغلة التي أصبحت قفصاً من العظام ولا تتحرك من مكانها، إنها بغلة ابن نباتة التي تماثله في حالها وهو يحتاج سواها وهذا ما صرح به ممدوحه حين قال في مقدمة قصيدة مدح، يصف عطاياه:

سايرتها خيلُ العطا مسرجاتٍ في حلاها ومسرجاتُ الأهله
كنسيم الصبا جنائبُ خطو كل طرف يقبل البرق نعله
وبغالٍ مثل البروج تحمل من سعوداً بعينها مستقلة
لاكبغلٍ بمصر إذ قلت قدماً فيه أو في بغالٍ صحبي الأذلة
لي بغلٍ لا يعرف الأكل عندي غير أن المياه للشرب سهلة
ليس في بطنه سوى الماء صرفاً إن بغلي على الحقيقة قلة

(ابن نباتة، دون تا: ٣٨٩)

أظهر ابن نباتة المفارقة بين عطايا الممدوح من الخيل والبغال التي تسابق الريح في سرعتها وبين بقلته التي لا يستطيع إطعامها ولا يستطيع أن يقدم لها سوى الماء، فصارت مثلاً ظاهراً لفقره وأكد على هذه الحالة مع مركوبه لممدوح آخر فقال له:

أمولاي إن يسكت لساني صابراً	فإن لسان الحال مني صادق
ألم تر أنني معمل الفكر في كرى	حمار أماسي غبنه وأصابع
ركوبي على أمثاله في زمانكم	كما ركبت في العالمين القبائح
فهل لي بيت المال حق فيقتضي	وهل أمني في أرذل الخيل جامع

(ابن نباتة، دون تا: ١١٢)

أبدع ابن نباتة في وصف حماره المستأجر وخاصة عندما شبه ركوبه بالقبائح المركبة في الناس فهذا أفسى ما وصف به امتلاك حيوان وأشد دلالة على ضيقه به وهو لا يريد إلا أرذل الخيل ليستعين به في شؤونه ومع ذلك يراها أملاً جامعاً بعيداً في ضوء ما يعرفه عن أهل الأمر والمال في زمانه. فابن نباتة أجاد في وصفه للحيوان واتجه في هذا الحديث اتجاه مغايراً لوصف الحيوان في شعر العصور السابقة واتخذ إشارة دالة على سوء حاله وموضوعاً للإطراف في المعاني والصور. لم يفتر ابن نباتة عن الشكوى وندب حظّه العاثر الذي أوجده في زمان لا يقدر الشعر والشعراء وسوق المدح فيه كاسدة فشعور الغبن لم يفارقه، لأنه لم يصل إلى المكانة التي تليق به ووصل إليها من هو أدنى منه فضلاً وعلماً ولم يحصل على المال الذي يعيش به حياة كريمة، فظل يعاني الفقر والفاقة وأول ما اشتكى منه هو قلة العطاء والحرمان منه الذي جعله يتذلل للناس ويلحف بالطلب ولم يفتن إلى تغيير غاية الشعر ومفهومه؛ فاستمر بالشكوى تاركاً لنا صورةً بديعيةً للفقر القبيح. الفقر شبح رهيب، كأنما عم أبناء العصر من عامة الناس وظهرت آثاره على الأشخاص ودورهم ولم تسلم من لمساته وسائل انتقالهم المتمثلة في الفرس والبغل والحمار؛ فقد اشتكى أصحابها من عدم قدرتها على المسير لما كان يصيبها من جوع ولا يستطيعون إطعامها وما يلحق بها من عجز فلا يقدرّون على استبدالها بأخرى فارهة تقوي على السير والعمل. تحكي صفي الدين الحلي قصّة فرسه مع الشعير الذي غدا بعيد المنال ولا يعرفه إلا بالتذكر:

رأى فرسي إسطلب موسى فقال:	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأنني	بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(الحلي، ١٩٩٠: ٥٦)

لا تخفي تلك النكتة الفنية التي تميزت بها في ذلك الحوار الذي أقام الشاعر بينه وبين فرسه الذي أشجته الذكرى فوقف على باب إسطنبول موسى يتذكر أيام الشعر، كما وقفت إمري القيس على أطلال محبوبته. يشكي ابن نباتة ضعف جواده قائلاً:

لرفقتي من جواد الخيل أكملها ولي جواد ولكن ناقص الدال
أمشي على قدمي والحال واقفة منها فهلاً يكون المشي في حالي

(ابن نباتة، دون تا: ٢٨٦)

الخصائص الفنية

المعجم الشعري

إن من أعمق ما يميز شاعراً عن آخر ذلك الاحساس اللفظي، الذي يتصف الشعراء عامة وشعرهم صبغة تميزه عن الكلام العادي. ونظرية المعجم الشعري للشاعر: هي "نوع اللغة المناسبة للشعر والرخص المسموح بها ومعجم كاتب أو أديب مجموعة من الألفاظ التي تشيع في قلمه ويستعملها في التعبير عن أفكاره والمعروف أن ثروة كل كاتب تختلف عن ثروة زميله كميةً ونوعيةً، حسب ثقافة كل منهما والمناهل التي استسقى منها وسائل الإبانة. (التونجي، ١٩٩٢: ٥٥)

فقد كان ابن نباتة على حظ كبير من الثقافة اللغوية وعالمياً بغريبها ومأنوسها، كما كان متضلعا من الألفاظ المستحدثة والتراكيب المولدة التي عرفها أبناء عصره وتسم ألفاظه بالرفقة والجزالة وحسن السبك وها هو يقول مصرحاً:

كانت للفظي رفقة ضن الزمان بما استحققت

(ابن نباتة، دون تا: ٢١٦)

من ميزات معجم ابن نباتة الشعري اختياره لمفردات ترسم تلك المعاناة التي أرقّت الشاعر وذلك نراه حيث يصيح شاكياً فقره:

لقد أصبحت ذا عمر عجيب أقضي فيه بالانكاد وقتي
من الأولاد خمس حول أم فواحرباه من خمس وسيت

(ابن نباتة، دون تا: ٨٠)

لعل اختيار الشاعر لمفرداته، قد شكلت تلك المعاناة التي تؤرق الشاعر ولذلك نراه في صيغة "أقضي" المشددة، التي رسمت لنا طبيعة قضاء الشاعر للأوقات وهي طبيعة اضطرارية،

فقد كان يقضيها على مريض. وكذلك صيغة الجمع في "بالأنكاد" التي تظل أوقاته كلها باللون الأسود، ثم تصوير الأمر على أنه معركة بين طرفين، أحدهما ذات الشاعر "فواحرباه" مما يزيد اللون قتامة. ومن روائع اختياره في الأبيات التالية، استخدام لفظ "ميت" بدلاً من "ميتت" التي تعني الموت الفعلي بسبب الفقر وحثماً ليس هناك ضرر بعد الموت:

يا صاحب السر وفي ذكره	للمسك سرٌّ غير مكتوم
عظماً علي ميتٍ من الفقر قد	أصبح في حالة مرحوم
منطبخ الأحشاء بالهم لا	يزال في حالة مغموم

(ابن نباتة، دون تا: ٤٥٧)

وقد أسهم اختلاط المجرد بالحسي في قوله "منطبخ الأحشاء بالهم" في تناقض مكونات الاستعارة، مما ساعد بدوره على ارتفاع نسبة تكثيف الحدث وجعل الاستعارة كأنها خلطة سحرية، تنضح بجوهرية المشاعر وتجسد مثيرات القلق عند الشاعر. لكن الصورة لم تقف عند اللقطة النفسية لذات الشاعر، إنما شملت ذهنه كذلك.

التراكيب

يحاول ابن نباتة أن يختار من التراكيب ما تردُّ إلى لغة شعره تلك الحياة القاسية التي كانت عليها ومن أهم خصائص شعره حول الفقر:

(أ) الاستفهام

استطاع الشاعر أن يصور حزنه ويعبر عن همومه من هذا السياق، إذ نراه يكثر من الاستفهام وخاصة في تصوير الفقر، ومن ذلك قوله:

أين سهام العيش مقسومة	وأين في الألفاظ تسهيم
وأين أوطان الغني والهنا	وأين إقدامي وتقديمي

(ابن نباتة، دون تا: ٤٥٥)

يطلب الممدوحون من الشاعر أن يمدحهم ولا يعطونه علي مدحه وهو ما عبر عنه في قوله:

مَن منصفٍ من أناس	ففيهم تحير ذهني
لا درهماً وزناً	وحاولوا الشّر مني
وهل سمعتم بشعر	يأتي على غير وزن

(ابن نباتة، دون تا: ٢٥٥)

أمضى ابن نباتة عمره في امتداح النَّاس وظلَّ فقيراً معدماً ترقُّ له أقسى القلوب وما
رقت له قلوب ممدوحيه فخاطب أحدهم قائلاً:

متى تنجح الشكوى إذا أنا لم أجد لديك اعتناء غير أنك تسمع
حبست لضيق الرزق حبس حمامة فهذا أنا فيكم بالمدائح أسجع

(ابن نباتة، دون تا: ٣١٢)

(ب) المنادى

عندما نقرأ ديوان ابن نباتة المصري نشاهد أنه خاطب الأمراء والكبار من رجال الدولة
وغيرها ليبيِّن بؤسه وفقره. فإذا كان أهل الدولة لم يقدرُوا الشعاعين حقَّ قدره، فقد عرف
قدر صاحبه، وأثنى عليهم بما هو أهلهم، وأذاع فضلهم بين الناس وكان يؤمِّل منهم جائزة؛
لأنَّهم يجهلون حاله:

يا سيدي لك نظم في محاسنه لمح من الزهر أو نفخ من الزهر
لكنني أشتكى حالاً يبيت لها فكري على الهم أو جفني على السهر
لا ثروة المال في كفتي قاضية حقاً ولا ثروة الأشعار في فكري

(ابن نباتة، دون تا: ٢٢٦)

أوضح ابن نباتة في مقطوعة أخرى سبب جفاء المدوحين له بقوله:

يا رب أسالك الفنى عن معشر غضبوا وكافوا بالجفاء ترددي
قالوا كرهاً منه مد لسانه والله ما كرهوا سوى مد اليد

(ابن نباتة، دون تا: ١٧٣)

رتَّب صاحب حماة، الملك المؤيد للشيخ جمال الدين بن نباتة في كلِّ شهر ألف درهم غير
ما يتحفه به وهو مقيمٌ بدمشق ومع ذلك طالما رثى حاله وبكى فقره وضعفه. (الحموي، ٢٠٠٥:
١٢٤) جديرٌ بالذكر أنَّ هذه الظاهرة مستشرية في ديوان ابن نباتة وعند غيره من شعراء
العصر المملوكي.

سأئلي عن شرح حالي كيف حال الضعفاء
فرط اسهال وفتور إنَّ ذا حال خراء

(ابن نباتة، دون تا: ١٩)

ج) استعمال صيغة المتكلم

هي ترسم حالة نفسه الحزينة الشاكية وبما ذكر كل الشواهد الشعرية لهذه السمة يطلب مجالاً أوسع نكتفي ببعض منها:

أشكو إلى الله ما أقاسي من شدة الفقر والهوان
أصبحت من ذلة وعري ما في داف سوى لساني
(ابن نباتة، دون تا: ٥٣٣)

ظلّ الزمان يعاندُ ابن نباتة، لا الشعر أفاده ولا الكتابة أراحته ولم يصب إلى المكانة التي ينشدها ولم يحصل على المال الذي يكفي عياله، وبقي في مرتبة المستعطين التي أدلته وأذلت شعراء زمانه ولذلك استنجد بأحد ممدوحيه قائلاً:

مولاي إنّ الحال قد وصلت إلى سَطْرين من بيتين قد ضمّتها
لم يبق عندي ما يُباع بدرهمٍ إلّا بقية ماء وجه صنتها
(ابن نباتة، دون تا: ٧٩)

في الأبيات التالية نراه يكثر استعمال ياء المتكلم حيث بلغ عددها ستّ مرّات وتدلّ هذه الظاهرة على احتجاج نفس الشاعر على ما تعاني منه من فقرٍ وسوء حالٍ:

لا عار في أدبي إن لم ينل رتباً وإنّما العار في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظّي فيا عجباً منّي لثروة لفظٍ وافقتار يدٍ
(ابن نباتة، دون تا: ١٢٥)

د) استخدام الجمل القصيرة

يستخدم ابن نباتة هذه الجمل القصيرة ويصوغها من مجزوء البحور الشعرية، لكي يعبر عن نفسه المتألّمة ويساير شعره لضيق صدره المعنى مثل قوله:

أشكو لفضلك حرفنةً ما لي بها مستمتعٌ
أحوالي معلوم تسو ء وصاحب لا ينفعُ
(ابن نباتة، دون تا: ٣١٩)

أو قوله:

رجلي وحالي لغير نافع أصبح هذا لذا يخالف
الرجل طول النهار تمشي والحال طول النهار واقف
(ابن نباتة، دون تا: ٣٣٥)

وفي الأبيات التالية يعرض سوء حاله على ممدوحيه ويبدو أنه لم ينتفع بهذه الشكوى، لكنّه لم يمل من تكرارها، من مثل قوله:

أشكو لأنعمك التي هي للعفاة سحائب
حالي التي يرثي العدو لها فكيف الصّاحب

(ابن نباتة، دون تا: ٦٥)

الأسلوب

(أ) التأثر بالقرآن الكريم

كان ابن نباتة من رجال الدين المشهورين ومن حفظة القرآن الكريم، إذن يستخدم أسلوبه وألفاظه كلّما سنحت له الفرصة. (باشا، دون تا: ٤٥٢) يستخدم الشّاعر من القرآن الكريم في بعض الأحيان أسماء سورته؛ كما في قوله وهو يبيّن فقره وبؤسه:

سيدي أصبحت مقروح الحشا وبشيء اللحم في ذا اليوم عان
زخرف الألفاظ قد أرسلته فعسى تملأ بيتي بالدخان

(ابن نباتة، دون تا: ٥٤٤)

نراه يستخدم الزّخرف والدخان وهما من أسماء السّور القرآنية وجعل هذين الاسمين مناط الإبحار ومركزي الدلالة للتطبيق في تجربته التي يحاول من خلالها أن يقيم توازناً مصطنعاً بين الشّعْر واللّحم. هو لم يقتصر على استخدام أسماء السّور القرآنية؛ بل تعدّها إلى الآيات الشريفة فاستمدّ منها كلمات وفقرات وجملات. فأدخلها بعضها صريحاً أو بتغيير طفيف، كيما تتلاءم مع الوزن والشطر ودليلاً على ما قلنا ما أنشد الشّاعر حول الفقر:

ومهجتي في ضلوعي من جوى وضناً حمالة الهم أو حمالة الحطب

(ابن نباتة، دون تا: ٥٩)

(ب) الفكاهة والمزاح

من أهم ما يميّز العصر المملوكي عن سائر العصور ميل الشعراء إلى الفكاهة والتّديير والدعابة والفكاهة كانت صورة صادقة عن الواقع الاجتماعي المتخلف وعن الحالة المتردّية التي وصل إليها الأدب والأدباء في هذا العصر. وكانت الفكاهة أداة صالحة يستخدمها الشعراء الذين يفضلون أسلوب الهزل على أسلوب الجدّ للتعبير عن معاناتهم في العصر الذي كان عصر تدرّ وتفكه. كما كانت في الوقت ذاته انعكاساً للفراغ الهائل الذي كان يعيش

فيه الناس. وابن نباتة معروفاً بالدعابة بين أصدقائه، فهو يتهمك عليهم في كل مناسبة تعرض أو موقف مضحك يطرأ. بدأ الشاعر بنفسه فوصف حاله وفقره:

سَادَتِي كَمِ أَتَشْكِي	لِخَلَايِي يَتَقَمَّم
صِرْتُ مَنْ وَهَمِي تَيْسًا	لِلْمِرَاعِي يَتَشَمَّم
مَا لَهُ فِي الشَّامِ مَرَعِي	فَدَعُوهُ يَتَقَمَّم

(ابن نباتة، دون تا: ٤٥٦)

سخر الشاعر من نفسه وحسب أنه تيس يتشمم المراعي لكنه لا يحظي بها فلا حيلة له إلا أن يتقمم بعد أن افتقد عشب مرعاه ويصور حاله في أيام شقائه ويفلح في هذا التصوير الساخر وهذا الوصف الدافئ كلسانه، يقول:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا أَقَاسِي	مَنْ شَدَّةَ الْفَقْرِ وَالْهَوَانِ
أَصْبَحْتُ مَنْ ذَلَّةٌ وَعُورِي	مَا فِي دَافٍ سَوَى لِسَانِي

(ابن نباتة، دون تا: ٥٣٣)

الشاعر لم يستطع شراء طاقية وشاش مناسبين واكتفى بما يستطيع الحصول عليه والذي لا يفنيه إلا يوماً واحداً ومراده من هذا الوصف إظهار حاله وفقره. ومثل ذلك وصفه لجبته في قوله:

يَا سَيِّدًا حَازَ الْمَعَا	لِي طَوْلُهَا وَعَرَضُهَا
لِي جُبَّةٌ رَفُوتٌ مِنْ	هِيَ الْبَعْضُ إِذْ لَمْ أَرْضَهَا
فَاعْجَبْ لَهَا عَتِيقَةً	دَبَّرْتُ مِنْهَا بَعْضَهَا

(ابن نباتة، دون تا: ٢٨٢)

وفق ابن نباتة في ترسيم الصور الضاحكة، فلم تفارقه هذه الطبيعة المرححة وهذه الروح الضاحكة حتى في أيام بؤسه وشقائه ولعل في ذلك ما يخفف عنه شيئاً من همومه وأحزانه التي جعلته دوماً يواجهها.

المعجم الإيقاعي

البحور

يرتكز ابن نباتة على الإيقاعات السريعة التي يحققها مجزوء البحور مما يعكس نبضات الشاعر المضطربة ورغبته وراء تحقيق الغرض من بيان الفقر والإعدام. استخدام الشاعر البحور ذات التفعيلة الواحدة، كالكامل والرجز والمتقارب كالأبيات التالية من بحر الرجز في تصوير فقره وبؤسه:

يا سيدي دعوة ذي حالة أحالها الدهر وعدوانه
ذوالفقر في أوطانه نأيه وذو الغني في النأي أوطانه
(ابن نباتة، دون تا: ٤٩٩)

والشاعر يستعطف ممدوحه لما أصابه الدهر به من بؤس وضيق العيش وقد فارق أولاده وأهله ويردد ابن نباتة ذلك في أشعاره.

وهو سما في هذه الأبيات إلى آفاق الحكمة، فقابل بين الفقر والغنى والغربة والوطن، لكننا لا نقف عند هذا اللون من وصف سوء حاله وغربة عياله وإنما تحسنت حاله بعد ذلك في مصر، فصار في غنى ويسر:

أصبحت بعد تطاول الأيام قلبي بموضع قالبى بالشام
(ابن نباتة، دون تا: ٤٦٢)

استخدم ابن نباتة الأوزان المجزوءة مما يدل على الاضطراب في نفسية الشاعر. على سبيل المثال يشكو من الفقر وهو يستفيد من مجزوء الرجز:

قل للفهيم الناصري صائحاً مستصصراً
يا صاحبي أصبحت حتـ بي في الخطاء معترراً
(ابن نباتة، دون تا: ٢٤١)

القوافي

للقافية دورها البارز في تأكيد المعنى باعتبارها النهاية البارزة في البيت، بحيث يصبح الصوت النغمي متوافقاً مع الألفاظ المبتوثة في بقية البيت لتنهض بغاية مفردة تنوح بادخال القارئ إلى صميم التجربة الشعيرية. (عصفور، ١٩٨٢: ٤٠٧) يعتمد ابن نباتة كثيراً على استخدام الحروف التي تساعده على ترسيم جو القلق والحزن والبؤس ويتجنب استخدام الحروف الكريهة التي تصدم الأذان وتخدش الروح ومن اختياراته الرائعة للقافية في ترسيم الفقر استخدامه للأصوات الانفجارية كالدال، القاف والهاء وذلك مثل الأبيات التالية التي تحدث فيها الشاعر عن ابن حجر الذي طلب منه مفتاح البيت الذي أعاره ليسكنه:

سكنت داراً لصاحب لي وقصده يستعير داره
ذو حجر نسبةً وغيظاً أنا وقومي نخاف ناره
فيا لها في الصفات ناراً وقودها الناس والحجارة

(ابن نباتة، دون تا: ٢٢٩)

نظّم ابن نباتة قصيدة يندب فيها حظّه العاثر في الحياة، فأولاده ماتوا صغاراً ولم يحصل مالاً ولذلك أظهر يأسه منها ومن إنصافه في الحياة:

أسى عليه إذا ضمّ الثرى جسدي أستغفر الله لا مالي ولا ولدي
حالي فكيف وما حظّي سوى النكد عفت الإقامة في الدنيا لو انشرفت

(ابن نباتة، دون تا: ١٢٥)

لا يستطيع الشاعرُ إطعام بغلته ولا يستطيعُ أن يقدم لها سوى الماء فصارت مثلاً ظاهراً لفقره وبؤسه:

لي بغل لا يعرف الأكل عندي غير أن المياه للشرب سهله
ليس في بطنه سوى الماء صرفاً إن بغلي على الحقيقة قلّه

(ابن نباتة، دون تا: ٢٨٩)

وقوله أيضاً:

سيدي قد كلفتنى زوجتي حلقت فانظر إلى حالي الأشق
كنت في الشعر أكدي برهة وأنا اليوم أكدي في الحلق

(ابن نباتة، دون تا: ٣٥٢)

النتائج

١. قد ذاق ابن نباتة في حياته ألم الفقر وعاش متململاً ضجراً، يندب حظّه في الحياة ويلعن نصيبه منها؛ لذلك إن صورة الفقر أهمّ المضامين الاجتماعية في ديوانه وهو يشير إليه مراراً بالتلميح حيناً وبالتصريح حيناً آخر. لم يكن يعيش ابن نباتة بمعزلٍ عن المجتمع وما يجري فيه من الأحداث والوقائع وصوّر بعض الموضوعات الاجتماعية مثل الأحداث الطبيعية والعادات والتقاليد في أشعاره. وشعره لا يمثل الحياة في عصره تصويراً وافياً بينما كان لابن الورددي والبوصيري صورٌ شعرية تمثل عصرهما وتصور الحياة فيه تصويراً بيّناً بعض الشيء، والنزعة التي تسيطر على الشاعر في هذا اللون من الشعر الاجتماعي الذي يصف فيه الشاعر بؤسه هي سهولة العبارة وقرب الصورة وعدم التعقّف من اقتباس بعض التراكيب والألفاظ العامية الدارجة قصداً إلى ترويح الشعر بين طبقات القراء.

٢. اتّسم المجتمع المملوكي شيوعَ الفقر بين أفرادهِ ولكن لم يخصّص ابنُ نباتة باباً له في ديوانهِ؛ بل تطرّقَ إليه أثناءَ المضامين الاجتماعية الأخرى كالمُدح والكوارث الطبيعية. وبذلَ ابنُ نباتة جهوداً عظيمةً للوصول إلى الجديد المبتكر في أشعارهِ حول الفقر ولم يوفّق إلّأ في ابتكارهِ للمعاني الجزئية وأدّى وصفُ الشّاعر لسوء أحواله إلى عدم الاهتمام بجزالة الألفاظ كما كان الحالُ عندَ أسلافهِ أو كما هي حالهم عندما يتّجهون بشعرهم إلى موضوعات أخرى، فلم يعد الشّاعرُ يهب الصّور القويّة واللفظ الجزل كثير عناء، فسوء حاله أدّى إلى سوء شعرهِ؛ فنجدهِ أحياناً يدخل العامية في شعرهِ حيثُ وجد فيها مدداً فيّاضاً للتعبير عن شكواه.

٣. إنّ الشّاعر لا يرفع صوتَ الإصلاح الاجتماعي، بل يستجدي ليخلّص نفسه وأسرته من الفقر والبؤس. ربّما كان الإنعزال، طبيعة ابن نباتة وربّما هو يؤثّر العافية وقد يكون همّ المعيشة وثقل العائلة شغل نفسه كلّها ولم يبق فيها قدراً لقضايا عصرهِ ولكن استقراء شعرهِ سيؤدّي إلى تشكيل صورة عامّة لعصرهِ وإن لم تكن واضحة تماماً. وللشكوى من الفقر والفاقة محلّ كبير في ديوان الشّاعر لأنّه عاش في عهد كثرت فيه الفتن والمخاوف والمشاكل إلّا أنّه لا يقذع في عتابهِ وكان عتابهِ للدهر وما شاكل ذلك لطيفاً ليّناً.

٤. تميّزت شعر ابن نباتة حول الفقر بميزات كثيرة في ألفاظهِ ومعانيهِ وأغراضهِ ومن أهمّها الإكثار من المقطوعات والفكاهة؛ لأنّه كان فكهاً مطبوعاً على المزاح ومعروفاً بالعبث والدّعاية بين أصدقائه وهو يتفكّه في كلّ مناسبة تعرض والفكاهة من أهمّ ما يميز المصريّين. إنّهُ يرى الفكاهة أكثر تصويراً لإبراز معنى لطيف، أو نكتة بديعة وألطف وأسهل في تصوير عمّا يدور في نفس الإنسان. ولا تفارقة هذه الطّبيعة المرحة والروح الضّاحكة حتى في أشدّ أيام بؤسه وشقائه ولعلّ في ذلك ما يخفّف عنه شيئاً من همومه وأحزانه التي جعلته دوماً يشكوها وهذه الفكاهة مبطنّة بالسّخرية وبمرارة الحاجة التي أدّى بها الشّاعر إلى الشكوى من سوء الحال والفقر.

المصادر والمراجع

١. ابن أياس (١٩٨٣م). *بدائع الزهور في وقائع الدهور*. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
٢. ابن نباتة، جمال الدين (دون تا). *ديوان الشعر*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣. أنس، وثام محمد (٢٠٠٩م). *الشكوى في شعر ابن نباتة*. الرياض: جامعة الملك سعود.
٤. باشا، عمر (١٩٨٢م). *الأدب العربي في العصر العثماني والملوكي*. دمشق: مطبعة الإنشاء.
٥. التونجي، محمد (١٩٩٢م). *المنتبى مالى الدنيا وشاغل الناس*. بيروت: عالم الكتاب.
٦. الحلي، صفي الدين (١٩٩٠م). *الديوان*. بيروت: دار صادر.
٧. الحموي، ابن حجة (٢٠٠٥م). *ثمرات الأوراق*. القاهرة: المكتبة العصرية.
٨. السبكي، تاج الدين أبونصر (دون تا). *طبقات الشافعية الكبرى*. بيروت: دارالمعرفة.
٩. سرباز، حسن؛ أسعدي، سعدي (١٣٩٣م). *صورة الفخر الأدبي عند ابن نباتة المصري*. مجلة أدب عربي، عدد ١٢.
١٠. سلام، محمد زغلول (١٩٧١م). *الأدب في العصر المملوكي*. القاهرة: دارالمعارف.
١١. سليم، محمود رزق (١٣٦٧هـ). *طرائف من العصر المملوكي: الشعر والنقد الاجتماعي*. مجلة الرسالة، عدد ٧٦٤.
١٢. صدقي، حامد وآخرون (١٣٩٠ش). *الخصائص الفنية لابن نباتة الشاكي*. تهران: مجلة إضاءات نقدية، عدد ١.
١٣. الصّفي، خليل بن أبيك (١٤٢٠هـ). *الوايف بالوفيات*. بيروت: دار إحياء التراث.
١٤. العسقلاني، ابن حجر (١٣٥٠هـ). *الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. بيروت: دارالجيل.
١٥. عصفور، جابر (١٩٨٢م). *مفهوم الشعر*. بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم.
١٦. محمد، محمود سالم (١٩٩٩م). *ابن نباتة شاعر العصر المملوكي*. دمشق: دار ابن كثير.
١٧. المقدسي، أبو الحسن (١٣٧٩ش). *درآمدی بر شعر ابن نباتة*. تهران: مجلة دانشكده ادبيات.
١٨. منتظري، آزاده وآخرون (١٣٩٤ش). *القضايا الأخلاقية- الاجتماعية: دراسة مقارنة في نماذج من شعر أبي نواس وحافظ الشيرازي*. قم: مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٤.